حول المدرسة الرمزية

سيدى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد :

لست أريد من هذه الكلمة القصيرة التي شرفها أنها موجهة إليكم ، إلا أن أذكر لسيدى الأستاذ أن الجملة الأخيرة التي أنهى بها مقاله عن « المدرسة الرمزية » في عدد سابق ، هي نفسها ماظللت أشعر به منذ سنين ، آن ملت إلى الرمزية أبصفها وأنقدها من أيدى من كفانا الأستاذ الكريم عناء وصفهم ولله الشكر ... فلقد لمست بيدى ضرورة الإيمان بأن « ميزان الصدق في هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها » ... وأن يكون الإيحاء « لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب » ... أيْ وربي ... ولا أخفي على الأستاذ أني ما شعرت بهذا إلا من كثرة ما أغوص في نفسي الحزينة التائهة ، حيث أقف على كل عاطفة ، دقيقة وغير دقيقة ، وكل معنى ، واضح أو مبهم ، فأذهل في هذه المرحلة التي أسميها مرحلة العواطف ، وأشعر أني في جو جديد ، أنصت للهمسات المتشردة ، وأرنو إلى ألوان متتابعة ... حتى يأتيني هيجانُ النظم ، فلا أقنع بما دون الحالات كلها وأجرب وصفها وتصويرها ... فأضطر إلى أن أغالي ... فأغالي ... وما العمل ؟ وأصبحُ لا أريد من الرمزية إلا الوقوف على هذه الحالات الدقيقة ، مردداً في كل مناسبة هذه الجملة التي كادت تكون تسبيحي : « إذا الرمزية لم تأخذ على عاتقها إجلاء غوامض النفس فحرى بها أن لا تكون ... »

غايتي إذاً في الرمزية هو التعبير عن هذه الدقائق النفسية التي لاريب قد شعر بها القارئ كل أو بعض الشعور ، والتي يمكن على كل حال إحياؤها فيه ... ووسيلتي — وهي أيضاً غاية بعض الرمزيين المنصفين — ليست الغموض وحده ولا الوضوح وحده ولكن تعانق هذين اللونين اللذين نجدهما — كما يقول صديقنا الأستاذ بديع حقي — في كل شيء ضمته هذه الحياة ، هذه الحياة التي هي نفسها تعانق وضوح وغموض ... نعم صديقنا بديع — وهو أكثر ما أراه ميالا إلى الغزل وإلى وصف الطبيعة في شعره الرمزي — يريد أن تكون الرمزية صورة هذه الحياة ... وله الحق ... ولكن أنا ... لا أريد من الرمزية إلا التعبير عن هذه العواطف الدقيقة وتلك المعاني المبهمة بأسلوب يقتضيه الحال ، فنكون بذلك قد خدمنا الأدب الرمزي خاصة والأدب العربي عامة ... وأنا أقول هنا الأدب العربي لأن الأدب العربي لم يجهل قط في عصر من عصوره الإسلامية هذا النوع من النظم ! ! واليوم ، يجب أن لا ننظر إلى الرمزية بعين الازدراء أو التعصب فنعدها خروجاً عن الأدب أو مفسدة للذوق الفطري الأدبي أو غير ذلك : ولكن يجب التعقل فيها !. نعم ، نحن ورثنا عن القدماء رمزيات عديدة كتلك التي رمز إليها أستاذنا آنفاً أو تلك التي أسعدني الحظ ففصلتها في بحث يطول الآن اختصاره ، قدمته لمباراة أبي العلاء التي أقامتها مجلة (الأديب) الغراء في السنة المنصرمة ... فكان والحمد لله من الفائزين : وقد تبين لنا فيه أن المعرى رمزي صوفي ، لم يدفعه إلى الرمزية إلا تصوفه ... وغير ذلك ... ولكن ياحضرة الأستاذ ألا ترانا بحاجة إلى تحديد هذه المفاهيم الصوفية الرمزية العربية ؟ إننا اليوم نرمز ونحن بعيدون عن التصوف بعد الأرض عن السماء ، أفلسنا بحاجة إذاً إلى رفع لواء الرمزية الحقيقية حيث يكون « الرمز فيها ضرورة » .

سيدى الأستاذ ، أنا قد آمنت بهذه الرسالة التي يجب أن أحمل مشعلها في الأدب الحديث ، بائنًا هذه المفاهيم الشاقة الشيقة التي وجدتُ أيضاً (جذورها) عند منصفي الرمزية الفرنسية : عند (مالرميه) — وخاصة مالرميه هذا — و(فرلين) وقليلا عند (رمبو).. وأنا اليوم أنظم على منوال مفاهيمي هذه التي رمزت إليها فوق ، والتي أحب ، بعد هذه الكلمات ، أن أسمع أستاذي بعض ألحانها ... فهل يتكرم الأستاذ فيبدي فيها رأيه ، بعد ما أتيحت لي هذه المناسبة السعيدة التي تجعلني أومن كل الإيمان بأن (الرسالة) هي تاريخ هذا العصر الأدبي المضطرب ... وبعدما طمعت — والشباب كله طمع وأمل — في جودكم المعهود الذي يجعلكم لا تضنون برأي على قريب ولا بعيد ...

فالقصيدة ، وعنوانها « بقايا حُلُم » جربت فيها تصوير هذه الفترة الدقيقة التي تمر على كل إنسان في ساعات أحلامه : فيندفع وراء الأوهام باسماً فرحاً ، بوعي وبغير وعي ... فتحمله ... وأوّاه ... لا تحمله إلا إلى خيبة ، إلى حزن ، إلى قبور جامدة فيقف قائلا لنفسه :

بقايا حلم

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ؟!...
تموت الرؤى في الضلوع ... ولا تشعرين !!.
وتهفو ، يُشَيِّعُها الفلُّ واليـاسمين :
لتسكُبَ حُزْني على زَغْردات الأنين ؟!!.

وتبقينَ حَيْرَى ، وراءَ الهضاب الحزينْ !!.
فأسألُ عنكِ الخيالَ ... أُلخيـــالَ الأمينْ :
إذا بالهاويلُ تومئُ : « صَهْ ... بعضَ حينْ » !.

« ٠ »

فأهمسُ للموت ... والبيـــدُ ليست تبينْ :
قبورٌ على أبحُرِ الوهم تبكي السنينْ ...
وترنو إلى الذكريات بعين الحنـــينْ !..
قبورٌ ... ولحنٌ أحتضار ... ودنيا ... ودينْ ...
وألقاكِ ، أنتِ ، تقولين للنـــادبينْ :
« بنفسي أشيعُ نفسي! ... فهل من معينْ؟! »..

« ٠ »

لحشرجة الوهمِ ، يا نفس ، هل تبسمينْ ...

فهذه قصيدة قد تغنى عن كل ما لخصناه فوق والسلام عليكم وإلى اللقاء ..

دمشق — عمر بهاء الأميري

غيرة فيلسوف

ليت الغيرة التي دفعت الدكتور شريف القبج إلى نقد طريقة إقحامي النقد الأدبي في فن القصة كانت غيرة على الأدب وحده، دون سواه، وبذلك كنت أحمد له غيرته ، وأقدر تجرده عن الغرض البادي من تضاعيف سطوره وتعابيره غير المحمودة .

إني أتغاضى عما قال — سامحه الله — حباً بالنقد وحرصاً على الحرية — لأقول له إن ما بيني وبين زميل له من خصومة أدبية هي التي حفزتني إلى إقحام النقد الأدبي في فن القصة . فهل هذا الإقحام جائز أو غير جائز ، مقبول أم مكروه ، أو هو بدعة للتشفي كما توهم ؟

أعرف أن ميدان القصة رحب يسع ما في الحياة بأكملها من صور وألوان ، وأعرف أن إقحام النقد الأدبي لا يكون إقحاماً على القصة بمعناه الصحيح إلا إذا عجز القاص عن إلحاقه بسياق الحديث ، وبمجراه الطبيعي ، وبجوّه المناسب ، ولم أندّ عن هذا السمت فيما أوردته في قصتي « الأفعوان » المنشورة في مجلة « المنتدى » .

أما زعمه أني فعلت ذلك للتشفي من زميل له فهذا زعم باطل ، لأني خاصمت بشر فارس الشاعر القاص وحاربته في شعره وفي قصصه ، ولن أنفك عن منازلته في كل ميدان ، ومحاربته بكل سلاح ، حتى أقتل التواءات في نفسه يقرّني عليها كل الأدباء ولن أعامله كما رغب إليّ حضرة الدكتور — سامحه الله مرة ثانية — « كما يعمل الطبيب الجراح مبضعه في الجسم العليل » لأني أعتقد أن في وسع هذا الزميل الانعتاق من هذه الرمزيات الشعرية والقصصية متى انجابت السحب الدكناء عن ذهنه غير المظلم ، وعندها يكون صحيحاً كأحسن الأصحاء . أفعل ذلك ؛ لاحباً به ولا كراهة ، ولكن غيرة مني على ناشئة قد يسممها هذا الضرب السمج من الرمزية الجوفاء ، الحامل لواءها المنكس الدكتور بشر فارس .

حبيب الزحلاوي

حفلة المعهد الملكي للموسيقى العربية

أقام المعهد الملكي للموسيقى العربية يوم الإثنين الماضي حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على الخريجين تحت رعاية الوزير الخصيف الدكتور عبد الرازق السنهوري بك الذي أناب عنه الأستاذ محمد بك فهيم ، وقد بحثت بإمعان عن مجهود الطلبة في هذا المعهد فلم أجد له أثراً ينسينا أخطاءه الماضية وجموده الدائم بالرغم من وجود الدكتور شرف الدين سليمان والأستاذ عبد الحليم علي في المعهد وفي الوزارة وهما علمان بارزان في سماء الفن ولولاهما لسقطت الحفلة سقوطاً مريعاً . وأعتقد مع الأسف الشديد أن النظم العتيقة في هذا المعهد هي التي ظلمت جهود هذين البطلين وحالت بينهما وبين تنفيذ برامجهما الفنية في عالم الأوبرا التي قدم منها الدكتور شرف أول محاولة بالنسبة إلى فهم المعهد . وقد أجمع المثقفون على صلاحيته لمثل هذا العمل لولا النظم البالية التي حالت بينه وبين تنفيذ برامجه في عالم الموسيقى المسرحية التي لم يسمع بها المعهد بعد ! ونحب أن ننبّه القائمين بالأمر على صفحات هذه المجلة التي تخدم الفن والأدب بإخلاص إلى ضرورة الالتفات إلى وضع الموسيقى المسرحية والأوبرا في برامج المعهد في العام القادم حتى نتخلص من هذه الأوضاع الجامدة التي تركض بنا إلى الوراء ركضاً سريعاً ، وحتى نرى في السنين القادمة أثراً واضحاً ينير الطريق للسالكين بعد هذا الليل الطويل .

عبد القادر محمود